مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

أزمة الجفاف في العراق وانعكاساتها المدمرة على المجتمعات

«لقد جفّ مصدر معيشتنا»

المجلس النرويجي للاجئين

ترجمة وتحرير مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا معقدة تهمّ الحقليْن السياسي والأكاديمي.

ملاحظة:

الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وانما تعبر عن رأي كتابُها.

حقوق النشر محفوظة © 2022

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

أزمة الجفاف في العراق وانعكاساتها المدمرة على المجتمعات «لقد جفَّ مصدر معيشتنا»

المجلس النرويجي للاجئين *

المقدمة

كارثة على الأبواب

العراق في خضم أزمة شحة المياه الناجمة عن المستويات القياسية المنخفضة لهطول الأمطار، وسوء إدارة الموارد المائية، وانخفاض تدفق المياه إلى نهري دجلة والفرات من دول المنبع؛ تفاقمت ظروف الجفاف فيه نتيجةً للأخطار المصاحبة للتغيُّر المناخي، والذي بدورهِ ساهم في انخفاض معدَّل هطول الأمطار، وزيادة درجات الحرارة في جميع أنحاء البلاد. أثَّر الجفاف على شمال العراق منذ أوائل عام 2021، في حين شهدت المحافظات في الجنوب انخفاضاً في إمدادات المياه وجودتها لسنوات عِدَّة. ومنذ ذلك الحين، انخفض إنتاج المحاصيل والثروة الحيوانية، ممَّا أثَّر على المجتمعات المستضعفة التي تأثَّرت بالصراع والنزوح على مدى السنوات العديدة الماضية. تضرَّر ما لا يقل عن سبعة ملايين شخص في العراق من الجفاف في الآونة الأخيرة[1].

قُيِّمَ العراق بوصفه خامس دولة معرَّضة للخطر على مستوى العالم من حيث انخفاض المياه والغذاء، ودرجات الحرارة المرتفعة جداً، والمشاكل الصحية المرتبطة بما سبق[2]. في حين كان الجفاف له فعلاً آثاراً مدّمرة في عام 2021، ويمكن لشحَّة المياه المتزايدة والمستمرة التي تفاقمت بسبب تغيُّر المناخ أن يتردَّدَ صداها في المناطق الحضرية نتيجةً لنزوح المزارعين والعمال اليوميين الذين فقدوا

1.أزمة المياه والجفاف تهدِّد أكثر من (12) مليون شخص في سوريا والعراق، بيان صحفي، المجلس النرويجي للاجئين، 23 أغسطس 2021.

https://www.nrc.no/news/2021/august/water-crisis-iraq-syria/

2.توقعات البيئة العالمية: التقييم الإقليمي لغرب آسيا، برنامج الأمم المتحدة للبيئة، 16 سبتمبر / أيلول 2017.

https://www.unep.org/resources/report/geo-6-global-environment-outlook-regional-assessment-west-asia

* منظمة إنسانية غير حكومية نرويجية تختص بمساعدة الناس وحقوق الإنسان في الدول التي تستضيف اللاجئين وتحسين معيشتهم من مواد غذائية وغيرها من متطلبات الحياة أو التي يكون فيها النزوح الداخلي مثل دول الشرق الأوسط التي جرت بها بعض الأحداث مثل سوريا وغيرها.

مصادر دخلهم. ومن دون المساعدات وتدابير السياسة، سيكون تأثير الجفاف وتغيُّر المناخ بمثابة محرِّك آخر للنزوح، وضربة مدمرة لحياة النازحين والعائدين والمجتمعات المستضعفة في العراق.

محصول الطماطم التالف لأحد المزارعين في محافظة نينوى نتيجةً للجفاف عام 2021.

المنهجية

في تشرين الثاني (نوفمبر) 2021، أجرى المجلس النرويجي للاجئين (NRC) في العراق تقييماً لتأثير الجفاف على الإنتاج الزراعي في موسم المحاصيل 2021-2020. اسْتُبْيِنَ أكثر من 2800 أسرة في المجتمعات الزراعية في محافظات الأنبار والبصرة ودهوك وكركوك ونينوى وصلاح الدين وذي قار، وشمل الاستبيان حوالي 300 نازح و1500 عائد. أُجريَ استبيان إضافي شملَ 100 من بائعي الأغذية وتجَّار المواشي، فضلاً عن 48 مقابلة مع أصحاب المصلحة والسلطات المجتمعية، وتحديداً مع مَن يحمل صفةَ مختارٍ وموظفي مديريات الزراعة وإدارات الري.

تُظهرُ نتائج الاستبيان الأثر الضار للجفاف على المجتمعات الزراعية في العراق، إذ أبلغ أكثر من ثلث المزارعين 37% عن تلف محصول القمح و30% يعانون من تلف محصول الشعير.

كانت آثار نقص المياه مدِّمرة على مربي الماشية أيضاً. فما يقارب 37% من العوائل فقدت

الماشية أو الأغنام أو الماعز في الأشهر الستة الماضية؛ بسبب نقص المياه والأعلاف أو الأمراض.

وزيادةً على ذلك، انخفض متوسط الدخل الشهري في 6 محافظات من أصل 7 محافظات التي شملها الاستبيان، إذِ انخفض الدخل إلى أقل من الحد الأدنى للإنفاق الشهري (SMEB)؛ نتيجةً للخسائر في إنتاج المحاصيل والثروة الحيوانية ونقص فرص العمل للعمالة اليومية. ومع ارتفاع أسعار المواد الغذائية، أفادت واحدة من كل خمس أسر شملها الاستطلاع أنَّه لا يوجد طعام كافٍ لسدِّ حاجة جميع أفراد الأسرة، في حين ذكر واحد من كل اثنين من الأفراد الذين شملهم الاستبيان أنَّهم بحاجة إلى مساعدة غذائية.

أثَّرت ظروف الجفاف فعلاً على النزوح، إذ أُجْبِرَ فرد واحد على الأقل من 7% من الأسر للهجرة؛ لشحة المياه وآثارها الاجتماعية والاقتصادية. وفئة الشباب –خصوصاً– فقدوا وظائفهم أو رحلوا من منازلهم بحثاً عن فرص اقتصادية في مكان آخر.

آثار الجفاف على العراق

خسائر المحاصيل وتلفها:

أدَّت المستويات القياسية المنخفضة لهطول الأمطار إلى خسائر ضارة في إنتاج المحاصيل وتلفها في جميع أنحاء العراق. أظهر التقييم أنَّ 37% من المزارعين أدلوا بأنَّ خسائر محصول القمح تزيد عن 90% من إجمالي الحصاد المتوقَّع و30% من المزارعين لاحظوا الشيء نفسه بما يخص الشعير. من جهة أخرى فإنَّ 14% فقط من الأسر أبلغوا عن عدم وجود خسائر في القمح و18% أفادوا بعدم وجود خسائر في الشعير.

تُقدِّر الأسر أنَّ إنتاج القمح قدِ انخفض بنسبة 84% في محافظة كركوك و78% في محافظة نينوى، المعروفة باسم «سلَّة الخبز» في العراق. يمكن أن يؤثِّر نقص محصول القمح بوفرة الغذاء، فضلاً عن زيادة الأسعار لسدِّ فجوة إنتاج المحاصيل المحلية عن طريق الاستيراد. تُشير التقديرات إلى أنَّ البصرة وصلاح الدين قد شهدتا انخفاضاً بنسبة 75%، في حين انخفض إنتاج القمح في إقليم كوردستان إلى 55%. القمح هو أهم محصول نقدي في كل محافظة شملها الاستبيان، ممَّا سيكون له تأثير مدمر على دخل المزارعين والعمال اليومين وعائدات التصدير إلى الناتج المحلي الإجمالي.

كانت المجتمعات الزراعية التي لا تصلها مياه الري، والتي تعتمد على الزراعة البعلية (الزراعة

التي يقتصر ريها على مياه الأمطار فقط) من بين أكثر المجتمعات تضرراً من الجفاف. تفتقر عديد من الأسر إلى البنية التحتية للري؛ بسبب المواقع النائية أو التكلفة العالية للمعدات، والذي لم يترك بديلاً للزراعة البعلية للمحاصيل في بعض المناطق. قد شهدت الأسر في قضاء القرنة في البصرة خسائر فادحة لم تقتصر على محصول القمح فقط، بل شملت الفواكه والخضروات نتيجة الافتقار إلى البنية التحتية للري وانخفاض معدلات هطول الأمطار. في مناطق أخرى، مثل سنجار والبعَّاج، يعتمد المزارعون على استغلال المياه الجوفية قليلة الملوحة (غير مناسبة لري المحاصيل)، الأمر الذي كان له تأثير ضار على إنتاج القمح والشعير، إذ أبلغ 92% من الأسر في البعَّاج عن تلف محصول القمح، وأبلغ ثلثا الأسر في سنجار عن تلف القمح والشعير. كما عانى أكثر من الثلث في سنجار من خسارة 90% من محاصيلهم من الفاكهة والخضروات.

تعتمد عديد من الأسر في الحويجة/كركوك على المحاصيل البعلية وافتقارهم لشبكات الري، إذ يمتلك بعض المزارعين بنية تحتية للري، لكنَّها تضرَّرت بسبب العمليات العسكرية واسعة النطاق لمحاربة «داعش»، كما هو الحال في أماكن أخرى وقعت على أراضيها الصراعات مثل نينوى وصلاح الدين والأنبار. تدهور الوضع في الحويجة نتيجة تعرُّض 69% من الأسر لتلف محصول القمح مقارنةً بـ 40% قبل أشهر عِدَّة.

يوضِّح «حجّي حاسا» –مزارع إيزيدي من قرية «كوري جامي» في سنجار– كيف دمَّر الجفافُ الخضارَ في مزرعته. أغسطس/آب 2021.

«لم نحصد أي شيء هذا العام؛ بسبب الجفاف، وليس باليد حيلة. دمَّر الجفاف الطماطم

والباذنجان ... لا يوجد حصاد هذا العام. لم أبِعْ كيلوغراماً واحداً من هذا الحقل برمته. لقد جفَّ مصدر عيش عائلتي».

خسائر الثروة الحيوانية:

من النتائج المباشرة لخسائر القمح والشعير التي شهدها المزارعون من ذوي الدخل المنخفض، هي عدم المقدرة على إطعام مواشيهم؛ بسبب نقص أعلاف الماشية وغلائها. وقد شكَّل هذا تهديداً مباشراً للماشية والأغنام والماعز التي لا تتلقَّى ما يكفي من الأعلاف للبقاء على قيد الحياة.

أفاد ما يقرب من نصف المزارعين –في الحويجة– عن خسائر في الماشية خلال الأشهر الستة الماضية؛ نتيجة نقص الأعلاف والأمراض. ويتعيَّن على الأسر –في الجبايش والفاو– إحضار مياه الشرب للحفاظ على ماشيتهم حية مع انخفاض منسوب المياه وارتفاع معدَّلات الملوحة. فقدت نصف الأسر في هذه المناطق الماشية في الأشهر الستة الماضية. وزيادةً على ذلك، اضطرَّ عديد من المزارعين إلى بيع ماشيتهم بمبالغ زهيدة. أخبر مزارعون المجلسَ النرويجي للاجئين (NRC) في سنجار والبعاج أنَّ متوسط تكلفة البقرة يبلغ حوالي 800 دولار أمريكي، لكن الأسعار قد تنخفض إلى ما يقارب 200 دولار أمريكي بمجرد تدهور أوضاع الماشية؛ لنقص الأعلاف.

انخفاض الدخل:

انخفض دخل الأسر الزراعية؛ لتعرُّضهم لخسائر المحاصيل. تعتمد أكثر من نصف الأسر –في الأنبار والبصرة وكركوك– على الزراعة بوصف مصدراً رئيساً للدخل، ولكن الإيرادات قد تراجعت. متوسط الدخل الشهري بين الأسر التي شملها الاستطلاع هو 209،000 دينار عراقي في كركوك، و288،000 دينار عراقي في البصرة، و293،000 دينار عراقي في الأنبار، وهو أقل بكثير من 440،000 دينار عراقي المطلوبة لتلبية الحد الأدنى من الإنفاق الشهري للمعيشة (SMEB) في العراق. يستأجر غالبية المزارعين أراضيهم من الحكومة، ممَّا يعني فعلياً أنَّهم يدفعون الإيجار، في حين تستمر محاصيلهم بالتلف ومن ثَمَّ انعدام الدخل.

«إن لم تتوفَّرِ الحلول، فلن يكون هناك زراعة»

سميرة[3]، بعمر 46 عام، عادت إلى مسقط رأسها في الموصل/نينوى، بعد سنوات من النزوح.

3.(غُيِّرَ الاسم؛ لحماية الشخص).

عادت إلى زراعة أرضها مع اثنين من أطفالها الخمسة، لكنَّها شهدت فعلاً انخفاضاً بالإنتاج.

«نقوم في الغالب بزراعة الباذنجان والبامية والفلفل الأخضر، لكن إنتاجنا انخفض؛ بسبب نقص المياه مؤخراً، ممَّا أدَّى أيضاً إلى انخفاض دخلنا؛ لأنَّ الأرض هي مصدر العمل الوحيد لدينا».

«نستخدم مضخات المياه التي تعمل بالبنزين لري الأرض. لقد أثَّر نقص المياه في كل شيء في حياتنا. ارتفعت أسعار البنزين والمواد الغذائية، وبما يخص أمثالنا للمزارعين أمثالنا، فقد جعل هذا حياتنا صعبة للغاية».

ليست «سميرة» الوحيدة ممَّن عانى من هذا الأمر. تسمع من مزارعين آخرين أنَّ دخلهم قد انخفض مقارنةً بالسنوات الماضية. هذا يجعل الطعام أعلى تكلفة والحلول أصعب. «لا أستطيع توفير الطعام اللازم لعائلتي، لذا أقترض المال من أقاربي أو أشتري الطعام بالدَيْن».

«أنا لا أعرف ما يجب القيام به. أشعر بالضياع. لا أستطيع ترك أرضي، فهي مصدر رزقي الوحيد. أعرف بعض الناس من القرية الذين اضطروا للمغادرة إلى المدينة للعمل كعمال يوميين في المتاجر. أنا لا أستطيع فعل ذلك. الزراعة هي الشيء الوحيد الذي أعرف كيف أفعلهُ، وأنا كبيرة في السن لأتعرض للنزوح مرةً أخرى».

تريد «سميرة» من المنظمات غير الحكومية والحكومة بالعمل معاً «لإيجاد حلول لنا؛ لأنَّه بخلاف ذلك، سنخسر جميعاً أرضنا ولن يكون هناك المزيد من الزراعة».

فضلاً عن ذلك، نتيجة لنقص المحاصيل لتُحصد، كان هناك انخفاض في فرص العمل للعمال اليوميين. لم يكن عند 80% من المزارعين أي عمال مؤقتين في المدَّة من 2020-2021 وذلك نتيجة مباشرة للجفاف وانخفاض إنتاج المحاصيل. على سبيل المثال، في البعَّاج، 99% من المزارعين لم يكن عندهم عمال يوميين. ستواصل ظروف الجفاف المستمرة في التأثير على فرص كسب العيش، إذ يُقدِّر البنك الدولي أنَّ انخفاضاً بنسبة 20% في إمدادات المياه للعراق يمكن أن يقلِّل الطلب على العمالة الزراعية إلى 11.8% ويقلِّل الناتج المحلي الإجمالي في العراق بمقدار 6.6 مليار دولار أمريكي[4]. وجدير بالذكر أنَّ أكثر من ربع النازحين يعتمدون على العمل اليومي بوصفه مصدراً رئيساً للدخل، لا سيَّما في دهوك وكركوك ونينوى وصلاح الدين. سيؤدِّي عدم مقدرة

4.المرصد الاقتصادي للعراق: الطريق الزلق للانتعاش الاقتصادي، البنك الدولي، خريف 2021.

https://tinyurl.com/ybjghg9e

الحصول على دخل مادي إلى زيادة من حدَّة تفاقم نقط الضعف الحالية للمجتمعات النازحة، ويساهم في آليات التكيُّف السلبية الأخطر أو موجات النزوح الإضافية.

نقص في الغذاء

أفاد 81% من بائعي المواد الغذائية أنَّ أسعار السلع الغذائية الرئيسة قدِ ارتفعت منذ يونيو/حزيران 2021. ارتفعت تكلفة حبوب القمح ودقيق القمح والشعير ارتفاعاً ملحوظاً خلال العام الماضي. وارتفع سعر شِوال دقيق القمح بوزن 50 كيلوغراماً من 41.100 دينار عراقي في تشرين الأول/أكتوبر 2020 إلى 50 ألف دينار في تشرين الثاني/نوفمبر 2021، لحق ذلك ارتفع بأسعار الخبز[5]. وقد ترك هذا الأسر الأفقر تكافح من أجل توفير ضروريات العيش حيث ذكر 56% من أولئك الذين شملهم الاستطلاع أنَّ زيادة الأسعار قد أثَّرت على كمية الأغذية المعروضة في السوق ونوعها. أفاد ما يقرب من خُمس الأسر أنَّه لا يوجد طعام كافٍ على الإطلاق لسدِّ حاجة جميع أفراد أسرهم. الأطفال معرَّضون بصورة خاصة للخطر، إذ إنَّ طفلاً من كلِّ طفلين (48%) قد تقلَّصت حصته من الطعام إلى النصف، و43% ليس عندهم ما يكفي من الماء وفقاً لمقابلات مع كبار المراقبين الذين يعملون مع السلطات المحلية.

زيادةً على ذلك، كان للجفاف تداعيات اجتماعية واقتصادية واضحة تؤثِّر على إمكانية الحصول على الغذاء بين الأسر العراقية. شكَّل انخفاض الدخل الشهري للمزارعين والعمالة اليومية تحديات في الحصول على الغذاء مقابل المال. في جميع المحافظات المتضرِّرة من الجفاف، أدلت الأسر عن صعوبات في الحصول على الغذاء؛ بسبب نقص الدخل المادي وارتفاع الأسعار. في جميع المحافظات ما عدا كركوك، تتمثَّل الصعوبة الرئيسة في الحصول على الغذاء في الدخل المادي (القدرة الشرائية). وفي الوقت نفسه، أفاد المشاركون في منطقتي الحويجة وكركوك أنَّ الصعوبة الرئيسة تكمن في عدم كفاية كمية المواد الغذائية المباعة في الأسواق وأنواعها، وسبَّب ذلك زيادة تكاليف الاستيراد نتيجة التشديدات في نقط التفتيش الخاضعة للرقابة الصارمة، إلى جانب الدخل المنخفض لشراء السلع.

5. تأثيرات COVID-19 على الأسعار والأسواق، اتحاد النقد للعراق، أكتوبر 2020؛ مبادرة مراقبة الأسعار المشتركة، ريتش، نوفمبر 2021.

https://tinyurl.com/ya2ph5ml https://reach-info.org/irq/jpmi

عائلات تتبضَّع مواد غذائية وبقالات في سوق النبي في شرق الموصل، العراق.

النزوح:

بدأت ظروف الجفاف برفع مستويات النزوح في جميع أنحاء البلاد. أدلت واحدة من كل 15 أسرة أجرى المجلس النرويجي للاجئين مقابلة معها، أنَّ أحد أفراد الأسرة قد أُجْبِر على الهجرة خلال الشهر الماضي، نتيجة للآثار المترتبة على الجفاف. وأثَّر ما سبق ذكره بالفئات المستضعفة تأثيراً خاصاً، ممَّا جعلها عرضةً للنزوح الناجم من شحَّة المياه بحثاً عن عمل أو دخل مادي أو وسيلة لإعالة أسرهم.

هناك نمط واضح للهجرة الناجمة عن الجفاف بين الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 15–24 سنة من المجتمعات الزراعية إلى المدينة بحثاً عن فرص اقتصادية وفرص عمل. أفاد واحد من كل شخصين (45%) في مقابلات المخبرين الرئيسين أنَّ الشباب في جميع أنحاء العراق قد أُجْبِروا على مغادرة منازلهم، في حين قال 38% إنَّ كثيراً من هذه الفئة العمرية خسروا أعمالهم.

فضلاً عمَّا سبق، فقد أُجْبِر النازحون والعائدون نسبياً على الهجرة، بفعل الجفاف. أُجبر واحد من أفراد 16% من الأسر النازحة في محافظة دهوك للهجرة في غضون الثلاثين يوماً الماضية نتيجة لعدم كفاية إمدادات المياه والآثار المرتبطة بها. أجبر أحد أفراد 25% من الأسر العائدة –في

الحويجة– على الهجرة نتيجةً للجفاف. من المحتمل أن يزداد النزوح في المستقبل، لا سيَّما وسط مخاوف تفاقم الجفاف في عام 2022 وزيادة الضغط على المجتمعات، لا سيَّما تلك التي تفتقر إلى الخدمات الأساسية.

«أنا سأغادر»

في وقت المقابلة، كان أسامة يحزم حقائبه استعداداً لمغادرة البلدة التي وُلِدَ فيها، وترك عمله في الأيام المقبلة.

اعتنى أسامة وشقيقه بأرض والديهما وكانا يزرعان الذرة والقمح. وفي السنوات الأخيرة، شهد الإنتاج تراجعاً موسماً بعد موسم؛ بأثر الجفاف.

«انخفض حصاد محصولنا بسبب الجفاف. كانت أرضنا مزدهرة، لكن الآن من الصعب علينا أن نرى ما يحدث؛ أرضنا تفقد قيمتها يوماً بعد يوم، ولا يبدو أنَّ هناك مَن يهتم بما يعاني منه المزارعون. كانت أرضنا تنتج 20 طناً كل موسم، والآن المنتوج لا يتعدى 10 أو 11 طناً».

يقول أسامة: إنَّ المشكلة معقَّدة، وكل محاولاتنا بائت بالفشل. لقد حفرنا الآبار وركبنا مرشات المياه لري الأرض، لكن هذا لا يكفي؛ لأنَّ هنالك مشكلة أخرى وهي الكهرباء. كيف يفترض أن تعمل مضخات المياه من دون كهرباء؟!»

سوء الحصاد للمحاصيل لحقهُ ارتفاعاً لأسعار السلع». تضاعفت أسعار المواد الغذائية. ارتفع سعر قنينة زيت الطهي إلى (3000) دينار عراقي، بعد أن كانت تبُاع بـ(1500) دينار. بالكاد يمكننا شراء الطعام الذي نحتاجه، لقد أنفقنا مدخراتنا لشراء الطعام».

الجفاف وغلاء المعيشة، ظروفٌ اجتمعت ودفعت بأسامة لمسافة 70 كيلومتر عن أرضهِ.

«سأنتقل من الحويجة إلى مدينة كركوك في غضون ثلاثة أيام. لا يوجد شيء نفعله في مناطقنا الريفية. عند بعض الخبرة في إصلاح الأثاث، وهو ما أخطِّط للقيام به من أجل لقمة العيش. سوف أستأجر منزلاً وحينما أستقرُّ سأحضر زوجتي أيضاً. إذا لم تجد الحكومة حلاً، فسوف نخسر عديداً من الأراضي الزراعية ليس فقط في كركوك ولكن في العراق كله. يجب أن تكون هناك بدائل وحلول لنقص المياه. سيكون هناك نزوح هائل إذا استمرَّ الوضع هكذا».

آليات التصدي السلبية لمواجهة الجفاف

كان للجفاف آثار مدوية على كل من المجتمعات الزراعية والعمال والأسر وقدرتهم الشرائية للسلع الغذائية اليومية. ما يقرب من ثلاثة أرباع الأسر أُجبرت على اقتراض الطعام أو شرائه بأموال مقترَضَة. لجأ أكثر من نصف الذين أجابوا على الاستبيان إلى إنفاق مدخراتهم لشراء الطعام خلال الثلاثين يوماً الماضية. تضرَّرتِ الأسر في البصرة تضرُّراً خاصاً، إذ أنفق 99% في الفاو و77% في القرنة مدخراتهم الخاصة لشراء الطعام. الأسر التي تُجبر على إنفاق مدخراتها للحصول على مواد غذائية كافية تكون أقل قدرة على الصمود في المستقبل، وأكثر عرضة للصدمات المتعلقة بشحة المياه وتغيُّر المناخ. كما قام أكثر من ثلث الأسر ببيع الممتلكات لشراء الطعام، وهذا بمثابة مؤشر للنزوح في المستقبل، إذ سيضطرُّ أفراد من الأسرة إلى الانتقال لأماكن أخرى؛ لتوفير الطعام لأسرهم فقط.

يذكر «رضوان» –ذو 36 عاماً من الموصل– «أنَّ أسعار المواد الغذائية قدِ ارتفعت. أنا حالياً مدين لعدد من متاجر المواد الغذائية؛ لأنَّني لا أمتلك ما يكفي من المال دائماً لسداد ما تحتاجه عائلتي؛ لأنَّ دخلي قد انخفض انخفاضاً كبيراً. في بعض الأحيان حينما أحتاج إلى شراء نوع معين من الطعام، مثل الخضار أو منتجات الألبان، أقوم باختيار المواد ذات الجودة الرديئة أو تلك التي أوشكت مدة صلاحيتها على الانتهاء ليبيعها أصحاب المتاجر بسعر أقل، لأنَّني لا أستطيع تحمُّل تكلفة منتجات ذات جودة أفضل».

أدَّى الجفاف إلى تعزيز نقط الضعف الحالية بين النازحين والعائدين، إذ ما تزال هذه الأسر تواجه مستويات كبيرة من الاحتياجات الإنسانية وهي الخدمات والمأوى وفرص كسب العيش. وجد تقييم احتياجات المجموعات المتعددة (MCNA) أنَّ أكثر من ثلاثة أرباع أسر النازحين والعائدين أفادوا بأنَّهم غير قادرين على تلبية الاحتياجات الأساسية المتعلِّقة بالرعاية الصحية أو الغذاء أو التعليم أو النفقات المنزلية الأساسية بين حزيران/يونيو وآب/أغسطس 2021 [6]. لن تؤدِّي الآثار الاجتماعية والاقتصادية للجفاف إلا إلى تفاقم هذه الاحتياجات. وجد تقييم المجلس النرويجي للاجئين أنَّ الأسر النازحة كانت أكثر عرضة لتغيير مكان إقامتهم لتقليل النفقات في ضوء ظروف الجفاف. كان الأطفال والشباب النازحون أكثر عرضة لترك الدراسة والبحث عن عمل

6.العراق: مجموعة بيانات تقييم الاحتياجات متعددة المجموعات (MCNA IV)، ريتش، سبتمبر 2021.
https://tinyurl.com/yckdve48

لتوفير الموارد لأسرهم مقارنة بالعائدين وأسر المجتمع المضيف. تشير الأبحاث الإضافية من مجموعة المياه والصرف والنظافة الصحية (WASH) إلى أنَّ النازحين قد يكونون الأكثر عرضة لتغيُّر المناخ، إذ يعيش ما يقرب من ثلاثة أرباعهم في مناطق هطول الأمطار فيها شبه معدوم[7].

واجهت الأسر العائدة أيضاً تحديات كبيرة في الوصول إلى حلولٍ دائمةٍ يمكنها تعزيز صمودهم في وجهِ الجفاف. يعيش نصف العائدين في العراق البالغ عددهم خمسة ملايين شخص في مناطق متوسطة إلى عالية الخطورة وما يزالون يواجهون احتياجات كبيرة فيما يتعلَّق بالمأوى وسبل العيش والخدمات الأساسية المتعلقة بنزوحهم[8]. أُجبرَ 81% من الأسر العائدة التي شملها الاستطلاع على شراء الطعام بالاقتراض خلال الشهر الماضي. يمكن أن تؤدِّي ظروف الجفاف المستمرة إلى تفاقم آليات التأقلُم السلبية بين العائدين، ممَّا قد يؤدِّي إلى إعادة النزوح إذا لم تُوفَّر المساعدة بخصوص الخدمات الأساسية والتوظيف.

الاستجابة للجفاف وتوقعات عام 2022

هناك حاجة إلى تدابير فورية لتقديم المساعدة للأُسر من أجل دعم المحاصيل والثروة الحيوانية، وكذلك استجابة لفقدان الدخل وارتفاع أسعار المواد الغذائية المستمر. هذا أمر مهم ومُلح، إذ لو سلَّطنا الضوء على كل التنبؤات المتعلقة بالجفاف لعام 2022، وكذلك القرار الأخير الذي اتخذته وزارة الزراعة لتقليص المساحات السنوية للزراعة بنسبة 50% لموسم المحاصيل 2022-2021 نتيجةً لشحَّة المياه. لا يمكن للمياه المخزونة في السدود والخزانات سوى ري ما يقرب من 250 ألف هكتار من الأراضي، وهي أقل بكثير مقارنةً بما يفوق الثلاثة ملايين هكتار من الأراضي الصالحة للري قبل النزاع. ومن المتوقع أيضاً أنَّه مع استمرار الجفاف في عام 2022، سينخفض تخزين المياه السطحية، وستزيد مستويات الملوحة، وتجفُّ الآبار الضحلة في الموسم الزراعي المقبل، ممَّا يؤدي إلى المزيد من الخسائر وتلف في المحاصيل. من المرجح أن تستمرَّ دخول المادية للمزارعين وللعمال اليوميين في الانخفاض، إلى جانب ارتفاع أسعار المواد الغذائية وزيادة متطلبات استيراد القمح نتيجة انخفاض الإنتاج المحلي. ستتأثر الأسر أيضاً فيما يتعلق بالاعتماد المتزايد على المياه المشتراة، فضلاً عن ممارسات النظافة السيئة التي يمكن أن تؤدِّي إلى تفشِّي الأمراض. من المرجَّح أن

7. مجموعة المياه والصرف الصحي والنظافة الصحية: هطول الأمطار وتغير درجات الحرارة في العراق، ريتش، تشرين الثاني (نوفمبر) 2021. https://tinyurl.com/yclmgqfm

8.مؤشر العودة، مصفوفة تتبع الهجرة الدولية: بعثة العراق، سبتمبر 2021.
https://iraqdtm.iom.int/ReturnInde

يزداد نزوح الأسر نتيجة استمرار أزمة الجفاف وتفاقمها في المناطق شديدة التأثر، مثل نينوى ووسط وجنوب العراق، وتحديداً في محافظات البصرة وذي قار والمثنى.

انعكست الحاجة إلى إعادة تأهيل أنظمة الري، والبذور المقاومة للجفاف، والمساعدات الغذائية على أنَّها الأنماط الثلاثة الأولى للمساعدة للأسر في جميع المحافظات. ذكر أكثر من نصف الأسر أنَّ الصعوبات الرئيسة في إنتاج المحاصيل تتمثَّل في الحاجة إلى إعادة تأهيل أنظمة الري وتسهيل الوصول إلى الأدوات الزراعية. في البصرة وكركوك وذي قار، أُدْرِجَ نقل المياه عن طريق الشاحنات وحفر آبار المياه بوصفها إجراءات حاسمة ضروريةً لإنتاج المحاصيل والثروة الحيوانية. هناك حاجة فورية أيضاً لدعم الأعلاف والخدمات البيطرية لوقف خسارة الماشية والماعز والأغنام وبيعها بأسعار بخسة. أخيراً، في المناطق التي فيها نسبة عالية من العمال اليوميين الذين فقدوا وظائفهم، فقد أُعطيت الأولوية للمساعدة الغذائية بوصفها أهم جانب؛ بفعل الجفاف.

التزم المجلس النرويجي للاجئين بالعراق بتقديم برامج التخفيف من آثار الجفاف طوال عام 2021 للمجتمعات المستضعفة التي تأثرت بشحة المياه. ووزعت فرق المجلس النرويجي للاجئين المساعدات النقدية لشراء الأعلاف لأكثر من (200) مربي للماشية المستضعفين في سنجار والبعاج في محافظة نينوى لضمان حصول الماشية على الغذاء الكافي ولمنع البيع القسري للماشية. كما قدَّم المجلس النرويجي للاجئين أنواعاً من بذور التي تتحمَّل الجفاف لصغار منتجي القمح في الحويجة وسنجار والبعاج وحمام العليل. دعم المجلس النرويجي للاجئين (1019) أسرة في الحويجة، و(735) أسرة في نينوى، و(257) أسرة في الرمادي ببذور القمح المقاومة للجفاف؛ لتخفيف خسائر المحاصيل وتلف المحاصيل جرَّاء ظروف الجفاف المستمرة.

التوصيات الرئيسة

يرحِّب المجلس النرويجي للاجئين بالمشاركة والحوار والجهود المكرَّسة من قبل حكومة العراق وحكومة إقليم كردستان وأصحاب المصلحة الدوليين لضمان مناقشة آثار تغيُّر المناخ وشحَّة المياه مع أصحاب المصلحة المحليين؛ والالتزام بالاتفاقيات الدولية لتقاسم المياه؛ وجهود التخفيف من آثار أزمة شحَّة المياه هي أولويات جميع الأطراف على حدٍّ سواء. تهدف التوصيات الواردة أدناه إلى ضمان عدم تأثُّر الأسر سلباً بآثار تغيُّر المناخ على المدى القريب والبعيد، وتمتُّع المجتمعات بالمرونة والقدرة على الاستمرار في سبل العيش الحالية.

الحكومات المانحة والمؤسسات المالية الدولية:

• توفير الدعم الفوري لمربي الماشية لشراء علف الماشية والإمدادات البيطرية على مدى الأشهر الثلاثة المقبلة حتى الموسم التالي، حينما تكون المراعي متاحة حتى لا يضطر المزارعون إلى بيع ماشيتهم و/ أو إنقاذها من الموت.

• توفير البذور المقاومة للجفاف لمزارعين محاصيل القمح والشعير من أجل تقليل تلف المحاصيل أو تلفها في حالة استمرار ظروف الجفاف في عام 2022. ضمان توفير التدريب المناسب والأدوات الزراعية للمزارعين للتكيُّف مع البذور الجديدة.

• تقديم المساعدة المالية إلى المستضعفين من النازحين والعائدين، والذين يعتمدون في كثير من الأحيان على العمل اليومي في المزارع والتي توقَّف العمل بها حالياً بسبب الجفاف، بناءً على معايير ضعف واضحة لسد حاجتهم.

• الاستثمار في إعادة تأهيل البنية التحتية للري و/ أو توفير البنية التحتية، إذ لا توجد حالياً للمزارعين أصحاب المزارع الصغيرة المتأثرين. توفير التدريب الفني المرتبط والأدوات الزراعية ذات الصلة لضمان استعدادهم بصورة أفضل للموسم القادم.

• دعم المساعدات الموجهة للمقاطعات والمحافظات بناءً على احتياجاتها الأساسية المتعلقة بالجفاف وشحة المياه. على سبيل المثال، الاستثمار في خيارات بديلة لإمدادات المياه، مثل تقنيات تجميع مياه الأمطار وتخزينها للمحاصيل والماشية.

• توفير بناء القدرات والإرشاد والتمويل للمقاطعات والمحافظات والدوائر التابعة لوزارة الموارد المائية لزيادة قدرة السلطات الحكومية على إدارة حوكمة الموارد المائية في العراق.

• دعم حكومة العراق في ضمان الالتزام باتفاقيات تقاسم المياه العابرة للحدود من قبل دول المنبع، مثل دعم مذكرة التفاهم الموقعة مع تركيا لضمان التدفق المياه إلى العراق بصورة سليمة.

• إعطاء الأولوية لنهج شامل في الاستجابة لتأثير ظروف الجفاف، مثل النظر في التأثير على الأطفال والشباب وكيفية منع التسرُّب من المدرسة وعمالة الأطفال وتحسين الفرص للشباب.

حكومة العراق وحكومة إقليم كردستان:

- وضع خطط على المستوى المحلي، بالتشاور مع المزارعين أصحاب المزارع الصغيرة والأكثر تضرراً من الجفاف، والتي تدعم الأسر الزراعية خلال ظروف الجفاف.
- وضع خطط فعَّالة وقابلة للتنفيذ لإدارة الموارد المائية وتقديم الخدمات عن طريق زيادة التمويل وتحسين مشاركة القطاع الخاص.
- دمج استراتيجيات التخفيف من آثار تغيُّر المناخ ضمن مبادرات خلق فرص العمل الوطنية لدعم المجتمعات لتكون أكثر قدرة على الصمود وتقليل الآثار السلبية لظروف الجفاف المستمرة وتغيُّر المناخ.
- الدفاع عن اتفاقيات تقاسم المياه العابرة للحدود التي يتعيَّن الالتزام بها من قبل البلدان التي ينبع منها النهر بدعم من المجتمع الدولي.
- إنشاء نظام إنذار مبكِّر لصدمات المناخ والموارد المائية لإبلاغ السكان المعرضين للخطر، وأولئك الأكثر عرضة للخطر.

المصدر:

https://www.nrc.no/resources/reports/iraqs-drought-crisis-and-the-damaging-effects-on-communities/#.YbqrGYH1B8U.twitter